المحاضرة الثالثة عشر

سقوط الملكية وإعلان الجمهورية عام ١٩٥٨

أولًا / أسباب ومقدمات انهيار النظام الملكي :

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى لم يحصل العرب على الاستقلال التام كما وعدهم الحلفاء عندما تأسست الدولة الحديثة لم تكن مستقلة كما رغب العراقيون ، بل أقام البريطانيون المحتلون كياناً ضعيفاً ناقص الاستقلال تحت أشرافهم وفرضوا عليه الانتداب ، وبعد الثورة أستجاب البريطانيون لرغبة العراقيين بتتويج الامير فيصل ملكاً على العراق على أن يوقع أتفاقاً يكون انتدابا بصيغة معاهدة وحاولوا التخلص من الانتداب فاضطروا الى توقيع معاهدة عام ١٩٣٠ وكان انتقاصا من استقلال العراق . شعر العراقيون بالكراهية لبريطانيا ، ولاسيما لأنها فرضت على الحكم العراقي أشخاصاً من أنصارها مثل نوري السعيد الذي أصبح رجل بريطانيا القوي في العراق والشرق الأوسط .

في حقبة الثلاثينيات وقعت حوادث زادت من كراهية العراقيين لبريطانيا وأنصارها ، وفي مقدمتهم نوري السعيد مثل مصرع الملك غازي في ظروف غامضة ، ثم تنصيب الأمير عبد الاله وصياً على العرش العراقي وهو من اشد أنصار السياسة البريطانية في العراق .

كانت قضية فلسطين قضية العرب الأساسية وقد أعتبر العرب موقف البريطانيين ونوري السعيد وعبد الإله من أسباب نكبة العرب في فلسطين ، ثم قيام الثورة المصرية في ٢٣ تموز ١٩٥٢ كان من العوامل المشجعة على اشتداد المعارضة في العراق ضد البريطانيين والطبقة الحاكمة في العراق . ويمكن تلخيص أسباب انهيار الملكية في العراق بما يلي :

١- نقض العهود البريطانية للعرب بعد الحرب العالمية الأولى وفرض الانتداب وإقامة ملكية موالية ، واستمرار النفوذ البريطاني بعد دخول العراق في عصبة

الأمم عن طريق معاهدة ١٩٣٠ والساسة العراقيين الموالين لبريطانيا ، وأدى ذلك الى تصادم العراق مع بريطانيا عام ١٩٤١ .

٢- مصرع الملك غازي وتنصيب الأمير عبد الإله وصياً على العرش ثم ولياً لعهد العراق وهو موالي لبريطانيا وحاول أن يكون ملكاً على سورية.

٣- سياسة نوري السعيد ، رجل بريطانيا القوي في العراق ، الاستبدادية المناهضة للحركات والأحزاب الوطنية .

٤- قضية فلسطين .

٥- الثورة المصرية والاعتداء الثلاثي على مصر .

٦- تنظيم الضباط الأحرار .

٧- دور التنظيمات الطلابية والسياسية .

كان للعوامل الخارجية أثر كبير في التأثير على تنظيم الضباط الأحرار وكانت هذه القضايا أحدى أسباب وانهيار النظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨ والمتمثلة بـ(القضية الفلسطينية) والثورة المصرية في ٢٣ تموز ١٩٥٢ والاعتداء الثلاثي على مصر وصداه في العراق . فبالنسبة لقضية فلسطين كانت تمثل أحدى مآسي التاريخ الكبرى وقع ظلمها على الأمة العربية عامة وعلى شعب فلسطين خاصة . وبعد الحرب العالمية الأولى وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني . وخلال هذه الفترة أستمرت معارضة العرب لوعد بلفور والهجرة اليهودية وبيع الأراضي لليهود واستيطانهم في فلسطين وحدثت اضطرابات متكررة خلال ١٩٢٠-١٩٣٩ . ومنها ثورة فلسطين الكبيرة عام ١٩٣٦ . وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية لن تستطيع بريطانيا الدولة المنتدبة تنفيذ السياسية التي رسمت في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية وتقرر تعيين لجنة بريطانية للتحقيق وقدمت مقترحات إلا أن العرب واليهود رفضوا هذه المقترحات . وهاج الرأي العام العربي في مختلف البلدان العربية لما حدث في فلسطين ، فكانت هذه القضية التي هزت العرب جميعاً أحدى الأسباب .

أما بالنسبة للثورة المصرية فهي الثورة التي قام بها تنظيم الضباط الأحرار في مصر والتي أدت الى الغاء الملكية وإقامة النظام الجمهوري وتشريع قانون الإصلاح الزراعي وتأميم شركة قناة السويس واعتبرت هذه الثورة نقطة الانطلاق للشعب العراقي وتشجيع ضباط الجيش العراقي بما حدث في مصر وأخذوا يعملون على استكمال تحرير العراق من النفوذ البريطاني وتقويض النظام الملكي والقضاء على نوري السعيد وعبد الإله . أما الاعتداء الثلاثي على مصر وتأثيره في العراق . غضبت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على قرار الحكومة المصرية بتأميم قناة السويس فشنت إسرائيل هجوماً على الأراضي المصرية وأخذت الجيوش البريطانية والفرنسية والإسرائيلية تهاجم المدن المصرية . وغضبت البلاد العربية على هذا العدوان . وفي العراق رحب الشعب العراقي بتأميم قناة السويس وأعلنت الحكومة العراقية الأحكام العرفية في جميع أنحاء البلاد تحسباً للطوارئ واستعداداً لما يقوم به الشعب العراقي في مساندة مصر من مظاهرات واضطرابات وفعلاً حدثت مظاهرات في البلاد تأييداً لمصر ومساندتها ضد العدوان الثلاثي فكان هذا أيضاً أحد العوامل الخارجية التي دفعت الضباط الأحرار للمضيء قدماً نحو تغير النظام الملكي .

أما بخصوص جبهة الاتحاد الوطني فتعتبر عامل داخلي وهي جبهة تكونت من بعض الأحزاب مثل الحزب الشيوعي والحزب الوطني الديمقراطي والاستقلال والمستقلين أيضاً . وقد كان للاعتداء الثلاثي على مصر ولحوادث العراق المؤيدة لمصر أثرها في تكوين هذه الجبهة وقد أصدرت هذه اللجنة بيانها الأول في ٩ آذار ١٩٥٧ نورد بعض ما جاء فيه : " أن الوطنيون اجتمعوا ودرسوا الأوضاع الداخلية والخارجية وثبتوا الأهداف التي تعتبر في هذه المرحلة نقطة ابتداء لتحقيق الحرية والاستقلال وقد حددت اللجنة الأهداف الوطنية الكبرى وهي تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي والخروج من حلف بغداد وتوحيد سياسة العراق مع سياسة البلاد العربية المتحررة ، ومقاومة التدخل الاستعماري بشتى أشكاله ومصادره ، وانتهاج سياسة عربية مستقلة أساسها الحياد الايجابي وكذلك أطلاق الحريات

الديمقراطية الدستورية وإلغاء الإدارة العرفية وإطلاق سراح السجناء والمعتقلين السياسيين وإعادة المفصولين لأسباب سياسية من الموظفين.

أقرت جبهة الاتحاد الوطني مبادئ اساسية في التنظيم منذ بداية عام ١٩٥٧ ، فتكونت للجبهة قيادة سياسية باسم اللجنة الوطنية العليا تضم ممثلاً من كل حزب من أحزاب الجبهة وتكونت كذلك قيادة تنفيذية باسم اللجنة التنفيذية العليا تضم ممثلاً أو أكثر من الأطراف الحزبية تتولى الأشراف على الطبع والتوزيع والاتصال باللجان الأخرى في بغداد وبقية الألوية .

ثانياً / تنظيم الضباط الأحرار :

ينتمي أكثر ضباط الجيش العراقي لاسيما الصغار منهم إلى الطبقة المتوسطة والطبقة تحت المتوسطة من الشعب العراقي . وينتمي الجنود على الأغلب إلى طبقة العمال والفلاحين . وعندما قامت ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢في مصر تشجع الضباط العراقيون وصمموا على إقامة تنظيم للضباط الأحرار العراقيين مشابهة لتنظيم الضباط الأحرار المصريين وشرع بعضهم فعلاً بالاتصال بالبعض الأخر لهذا الغرض . ويمكن تلخيص حوافز التنظيم ودوافعه بالنقاط الآتية :

١- طموح بعض الضباط للوصول إلى السلطة كما فعل الضباط المصريون .
٢- اعتناق هؤلاء الضباط فكرة تحقيق الإصلاح السياسي والاجتماعي بعمل عسكري .
٣- تشبع أكثر الضباط بالروح القومية ورغبتهم في تحقيق الوحدة العربية ، وقد غضبوا من موقف الحكومة العراقية من العدوان الثلاثي على مصر.
٤- سخط الضباط من موقف الحكومة العراقية من حرب فلسطين ١٩٤٨ .
٥- حلف بغداد الذي كبل استقلال العراق بالقيود .

وقد فاتح الضابط رجب عبد المجيد بعد الثورة المصرية ٢٣ تموز ١٩٥٢ زميله رفعت الحاج سري بموضوع تنظيم للضباط الأحرار يعمل بصورة سرية ثم أتصل هؤلاء بآخرين واستمروا حتى أواخر عام ١٩٥٦ ، وبعد العدوان الثلاثي على

مصر أشتد غضب بعض الضباط الأحرار من الحكم العراقي ، فعقد في كانون الأول ١٩٥٦ ثمانية من الضباط اجتماعا في دار الرائد الطيار المتقاعد محمد سبع لتأليف أول هيئة عليا تشرف على تنظيم الضباط الأحرار ، وفي الاجتماع نفسه أقترح ضم رفعت الحاج سري إلى اللجنة العليا ولكنه أعتذر ثم أنضم طاهر يحيى وعبد الرحمن عارف وأخيراً اتفقوا على ضم عبد الكريم قاسم في نيسان١٩٥٧ والأخير جاء بعبد السلام عارف ثم أنضم عبد الوهاب الشواف وبذلك أصبح عدد أعضاء اللجنة العليا للضباط الأحرار (١٤) ضابطاً عدا رفعت الحاج سري .

تعاهدت اللجنة العليا للضباط الأحرار في اجتماعها الأول العمل ضد الحكم العراقي القائم وأقسموا يمين الإخلاص للتنظيم والوطن . وكتبوا صيغة القسم على ورقة صغيرة ، وبعد أداء اليمين أتفقوا على تمزيقها على أن لا يستعملوا الكتابة في أعمالهم بل ان يعتمدوا على الكلام الشفهي .كما اتفقوا على نظام الخلايا في تنظيم الضباط الآخرين الذين يرتبطون بهم ، وكل خلية مؤلفة من ثلاثة أو أربعة أو خمسة ضباط يتصلون بالخلايا الأخرى . وقامت اللجنة العليا بتكوين لجان لمعالجة بعض القضايا مثل لجنة الخطط والدعاية والتنظيم ولجنة جمع المعلومات واللجنة المالية . واختير محيي الدين عبد الحميد رئيساً بصفته أقدم الضباط وأعلاهم رتبة عسكرية وقد تم اختياره مجرد رئيس لإدارة الاجتماعات وليس زعيم للحركة أو الثورة وأنتخب رجب عبد المجيد سكرتيراً لها . وبلغ عدد الضباط الأحرار حوالي (٢٠٣) ضابط .

أما عن المبادئ والمقررات التي أتفق عليها الضباط الأحرار فهي :

١- إسقاط النظام الملكي بأية وسيلة وإقامة النظام الجمهوري .
٢- إقامة النظام الجمهوري على أساس الديمقراطية البرلمانية وضمان الحرية واحترام حقوق الإنسان .
٣- تحويل الهيئة العليا للضباط الأحرار بعد الثورة إلى مجلس قيادة الثورة مع جواز إدخال أعضاء آخرين فيه .
٤- قيام فترة انتقالية تشكل فيها حكومة مدينة يساندها ويشرف عليها مجلس قيادة الثورة .

٥- عدم جواز انتماء الضباط إلى الأحزاب .

٦- إقامة مجلس سيادة ثلاثي لرئاسة الجمهورية إلى أن ينتخب مجلس وطني يوضع دستور وينتخب رئيس للجمهورية .

٧- عودة أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى ثكناتهم بعد انتهاء فترة الانتقال .

٨- عدم دخول أية ضباط كوزير في الحكومة المدنية وعدم قبول الضباط مراكز عليا في الجيش دون موافقة مجلس قيادة الثورة .

٩- بحث أعضاء اللجنة مصير عبد الإله ونوري السعيد والملك فيصل الثاني.

١٠- بحثوا احتمال تدخل دول ميثاق بغداد في موضوع تغير النظام .

١١- اتفقوا على ضرورة أجراء إصلاحات شاملة في البلاد .

١٢- تدعيم الجيش والقوات المسلحة .

١٣- أتباع سياسة الحياد الإيجابي بين المعسكرين الشرقي والغربي .

١٤- بحثوا موضوع ارتباط الدينار العراقي بالجنية الإسترليني وموضوع عائدات النفط .

١٥- تصفية القواعد الاستعمارية والقضاء على النفوذ البريطاني .

١٦- أما موضوع الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، فأنهم لم يتخذوا قراراً بشأن الانضمام إلا أنهم تركوا ذلك للظرف .

وعملت اللجنة العليا للضباط الأحرار على الاتصال بالساسة المدنيين عن طريق سكرتير اللجنة رجب عبد الحميد الذي أخذ يتصل بالأحزاب . وقد جرت عدة محاولات سابقة لثورة ١٤تموز ١٩٥٨ ، منها محاولة ٦ كانون الثاني ١٩٥٨ في يوم عيد الجيش إلا أن المحاولة لم يكتب لها النجاح ، ومحاولة أيضاً في ١١ أيار ١٩٥٨ ولم يكتب لها النجاح وفي اليوم الثاني أيضاً ١٢ أيار ومحاولة في ٢٩ أيار عندما حاول عبد الغني الراوي تنفيذها إلا أنه صرف النظر عنها .

ثالثاً/ قيام الثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ :

تأكد الضباط الأحرار في الأسبوع الأول من حزيران١٩٥٨ ، أن اللواء العشرين التابع للفرقة الثالثة في منطقة ديالى يتحرك الى الأردن مروراً ببغداد . كان عبد السلام عارف أمراً للفوج الثالث في هذا اللواء وعبد اللطيف الدراجي أمراً للفوج الأول في هذا اللواء العشرين . وأتفق عبد الكريم وعبد السلام عارف وعبد اللطيف الدراجي على تنفيذ الثورة عند مرور قطعات اللواء العشرين ببغداد وعلى التكتم الشديد وعلى أن لا يخبروا حتى ضباط اللجنة العليا خشية تسرب أخبار تنفيذ الثورة . وفي مساء الأربعاء التاسع من تموز اجتمعوا هؤلاء مع الضباط وأخبروهم بساعة الصفر وتقسيم الواجبات . بعد أن وفر الضباط العتاد اللازم لهذه الثورة .

أجتمع الضباط الأحرار الثلاث وأطلعوا على صيغة البيان الأول الذي قراه عبد السلام من دار الإذاعة في الساعة السادسة من صباح يوم الاثنين ١٤ تموز ١٩٥٨ واتفقوا على تقسيم الأعمال بينهم واختير الفريق الركن نجيب الربيعي رئيساً لمجلس السيادة وعين عبد الكريم قاسم رئيساً للوزراء وقائداً عاماً للقوات المسلحة وعبد السلام عارف نائباً للقائد العام للقوات المسلحة ونائباً لرئيس الوزراء ووزير الداخلية وعين عبد اللطيف الدراجي أمراً للكلية العسكرية وألفت وزارة ائتلافية تضم عناصر المعارضة .

وأذيع البيان الأول للثورة : (أيها الشعب العراقي الكريم . بعد الاتكال على الله ومؤازرة المخلصين من أبناء الشعب والقوات المسلحة أقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة والفاسدة التي نصبها الاستعمار...)

هاجم الضباط الأحرار وجنودهم قصر الرحاب وأطلقوا النيران عليه فخرج الملك وأفراد عائلته من البناية وبينما كانوا يتفاوضون حدث أطلاق نار من قبل الضابط عبد الستار سبع العبوسي وتم قتلهم . أما نوري السعيد فقد هرب من داره في كرادة مريم في جانب الكرخ في بغداد بعد وصول القوة الخاصة باعتقاله ، وذهب الى دار صديقه محمود الأسترابادي في الكاظمية وبقي يوم واحداً ثم حاول الوصول الى دار محمد العريبي وكان عبد الكريم قاسم قد أذاع عن جائزة قدرها عشرة الأف

دينار لمن يدل على مكان السعيد وقد أوجس نوري خفيه من أبن صاحب الدار فخرج مع زوجة صديقة الأسترابادي وهو بملابس نسائية متوجهاً الى دار محمد العريبي وفي الشارع عرفه الناس فنقله أحد جنود القوة الجوية .

المصادر الساندة :

١- فاضل حسين ، سقوط النظام الملكي في العراق ، بغداد ، ١٩٨٠ .
٢- ليث عبد الحسين الزبيدي ، ١٤ تموز ١٩٥٨ ، بغداد ، ١٩٨١ .